فإذا حدث تخلخل في الترابط بين الجملتين فإن الفاء تدخل إعلانًا للمغايَرة كقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَما تَعْبُدونَ مِنْ دونِ اللهِ ﴾ [١]

وتؤدي (إنما) الدور نفسه في عملية الربط والتحرُّك بالدلالة رأسيا ، ويلاحظ أن طبيعة هذه الأداة في الاستعمال تتصل بالمتلقي في معظم حالاتها ، فوضعها في التركيب يتأتى في أمر لا يدفع المخاطب صحته ، أو نحو ذلك مما ينزل هذه المنزلة ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿ إِنَّما يَسْتَجيبُ الَّذينَ يَسْمَعون ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّما تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ ﴾ وقوله عز وجل : ﴿ إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها ﴾ ، فهنا تذكير بأمر معلوم ؛ لأن الاستجابة لا تتأتى إلا ممن يعلم ويسمع ما يقال له ، وكذلك الإنذار إنما يؤثر مع من يؤمن بالله .

أما الثاني فكقول الشاعر :

إِنَّما مُصْعَبٌ شهابٌ مِنَ اللـ ـه تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظَّلْماءُ

فادعاء كون الممدوح بهذه الصفة أمر معلوم على أساس أن المدح يستدعي ذكر الممدوح بما لا ينكره أحد [٢].

وبالمثل أيضًا فإن (ما وإلا) إذا تركبا في الكلام فإنهما يؤثِّران في حركة الصياغة ليفيدا (الحصر) ولكن يلاحظ تداخل الحركة الرأسية والأفقية في هذه الحالة ، فعندما يتصل الحصر بالأسماء ينصب على طبيعة الاسم النَّحْوِيَّة ، ففي الفاعل كقولنا : ما ضرب عمرًا إلا زيدٌ ، يكون الناتج الدلالي أنه لا ضارب لعمرو إلا زيد ، وهذا الناتج جاء من خلال (ما وإلا) مضافًا إليهما تقدم المفعول على فاعله ، فالأثر الدلالي إنما يظهر فيما بعد (إلا) .[٣]

---

(١) العلوي : الطراز ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ . (٢) الرازي : نهاية الإيجاز ، ص ١٥١ ، ١٥٢ .
(٣) المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢١٥ ، ٢١٦ .